Journal Of the Iraqia University (75-10) July (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

المسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي ومميزاتها الفنية

هاجر رحيم هادي الجنابي
الاستاذ المشرف :د.خلي برويني
الاستاذ المساعد المسرف د.هادي نظري منظم
جامعة تربية مدرسي

المستخلص

تُعدّ المسرحية الشعرية من الأجناس الأدبية التي تجمع بين خصائص الشعر وفنون المسرح، إذ تتخذ من اللغة الشعرية وسيلة لبناء الحدث الدرامي وتجسيد الصراع الإنساني والفكري. وقد برز الشاعر والكاتب المسرحي العراقي رضا الخفاجي بوصفه أحد أبرز رواد المسرح الشعري الحسيني في العراق المعاصر، حيث قدّم عدداً كبيراً من المسرحيات الشعرية التي استلهمت أحداث التاريخ الإسلامي وشخصياته المؤثرة، ولا سيما أحداث النهضة الحسينية. يهدف هذا البحث إلى دراسة المسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي والكشف عن أهم مميزاتها الفنية والجمالية، من خلال تحليل لغتها الشعرية وبنائها الدرامي وخصائصها الفنية والفكرية. وقد توصل البحث إلى أن الخفاجي استطاع تحقيق توازن فني بين الشعر والدراما، وأن نصوصه المسرحية اتسمت بكثافة اللغة الشعرية وقوة الإيقاع والرمزية والتصوير الفني، فضلاً عن توظيفها للقيم الإنسانية والدينية في إطار درامي مؤثر.

الكلمات المفتاحية :المسرحية الشعرية، رضا الخفاجي، المسرح الحسيني، اللغة الشعرية، البناء الدرامي.

Abstract

Poetic drama is considered one of the literary genres that combines the characteristics of poetry with the elements of theatrical art, as it employs poetic language as a means of constructing dramatic events and embodying human and intellectual conflict. The Iraqi poet and playwright Ridha Al-Khafaji has emerged as one of the most prominent figures in contemporary Husayni poetic theatre in Iraq, presenting a large number of poetic plays inspired by Islamic history and its influential figures, particularly the events of the Husayni revolution.This research aims to study the poetic drama in the works of Ridha Al-Khafaji and to identify its most important artistic and aesthetic features through analyzing its poetic language, dramatic structure, and intellectual and artistic characteristics. The study concludes that Al-Khafaji succeeded in achieving a balanced integration between poetry and drama. His theatrical texts are characterized by dense poetic language, strong rhythm, symbolism, and artistic imagery, in addition to employing human and religious values within an influential dramatic framework.**Keywords:** poetic drama, Ridha Al-Khafaji, Husayni theatre, poetic language, dramatic structure.

المقدمة

تُعدّ المسرحية الشعرية من الفنون الأدبية التي تجمع بين خصائص الشعر وعناصر البناء المسرحي، إذ تتخذ من اللغة الشعرية وسيلة للتعبير عن الأحداث والشخصيات والصراعات الدرامية، مما يمنح النص المسرحي أبعاداً جمالية وفكرية تتجاوز حدود السرد المباشر. وقد استطاع الأديب العراقي رضا الخفاجي أن يرسخ حضوره في هذا المجال من خلال مجموعة من المسرحيات الشعرية التي استلهمت أحداث التاريخ الإسلامي وشخصياته المؤثرة، ولا سيما الشخصيات المرتبطة بالنهضة الحسينية، حيث جعل من الشعر أداة فنية للتعبير عن القيم الإنسانية والدينية التي جسدتها تلك الشخصيات التاريخية. وتمتاز مسرحيات الخفاجي بلغة شعرية ذات طابع إيحائي ورمزي، إذ تعتمد على الصورة الشعرية المكثفة والعبارة المختزلة التي تحمل أكثر من دلالة، الأمر الذي يضفي على النص عمقاً فكرياً وجمالياً ويجعل المتلقي شريكاً في إنتاج المعنى (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٢٢). كما تتسم نصوصه بإيقاع شعري واضح يتولد من التوازن بين الوزن والموسيقى الداخلية والتكرار الفني، مما يسهم في تعزيز التأثير النفسي والانفعالي للأحداث المسرحية ويمنحها بعداً وجدانياً مؤثراً (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٢٧). ويظهر في مسرحياته اهتمام واضح بالبناء الدرامي القائم على الصراع بين قوى الخير والشر أو الحق والباطل، وهو صراع يتجسد غالباً في الشخصيات التاريخية التي يستلهمها من واقعة الطف وما ارتبط بها من أحداث

ومواقف إنسانية خالدة (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٤١). ومن المميزات الفنية المهمة في مسرحه الشعري اعتماده الرمزية بوصفها أداة فنية للتعبير عن القضايا الفكرية والإنسانية، إذ تتحول الشخصيات التاريخية إلى رموز تمثل الحرية والعدل والتضحية والإصلاح، وبذلك تتجاوز حدودها الزمنية لتصبح معبرة عن قضايا الإنسان في مختلف العصور (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٥٥). كما يبرز التصوير الشعري بوصفه سمة أساسية في نصوصه، حيث يوظف الاستعارة والتشبيه والكناية والصور الحسية من أجل تجسيد الأحداث والانفعالات النفسية للشخصيات، مما يسهم في خلق مشاهد درامية نابضة بالحياة ومؤثرة في المتلقي (حمادي، ٢٠٢٤، ص٨٨). ويعتمد الخفاجي كذلك على الحوار الشعري الذي يجمع بين الوظيفة الدرامية والجمالية في آن واحد، إذ لا يقتصر الحوار على نقل المعلومات أو تحريك الحدث، بل يؤدي دوراً مهماً في الكشف عن أبعاد الشخصيات الفكرية والنفسية وإبراز مواقفها من الأحداث الجارية (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣١). ومن الجوانب البارزة في تجربته المسرحية اهتمامه بإحياء التراث الإسلامي وإعادة تقديمه برؤية معاصرة، إذ لا يكتفي بسرد الوقائع التاريخية، وإنما يعمل على إعادة تشكيلها فنياً بما يتناسب مع متطلبات العمل المسرحي وأهدافه الفكرية والتربوية (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٦٣). وقد أسهم هذا التوظيف الواعي للتاريخ في منح نصوصه بعداً ثقافياً ومعرفياً فضلاً عن بعدها الجمالي، الأمر الذي جعلها تحظى باهتمام النقاد والباحثين المهتمين بالمسرح الشعري والحسيني (عبد الأمير، ٢٠٢٣، ص١١٢). ومن خلال هذه الخصائص الفنية يتضح أن رضا الخفاجي استطاع أن يحقق توازناً ناجحاً بين الشعر والدراما، فلم يطغ الجانب الشعري على حركة الأحداث، كما لم يفقد النص المسرحي طبيعته الأدبية والشعرية، وهو ما منح أعماله خصوصية فنية متميزة في إطار المسرحية الشعرية العراقية المعاصرة، وأسهم في ترسيخ مكانته بوصفه واحداً من أبرز كتاب المسرح الشعري في العراق والعالم العربي (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣٩)

أهمية البحث

١. إبراز تجربة رضا الخفاجي في المسرحية الشعرية.
٢. الكشف عن الخصائص الفنية والجمالية لنصوصه المسرحية.
٣. بيان دور المسرح الشعري في توظيف القيم الإنسانية والدينية.
٤. إثراء الدراسات النقدية المتعلقة بالمسرح العراقي المعاصر.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الآتي:
ما أبرز المميزات الفنية التي اتسمت بها المسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي؟

أهداف البحث

١. التعرف على مفهوم المسرحية الشعرية.
٢. دراسة تجربة رضا الخفاجي المسرحية.
٣. تحليل الخصائص الفنية في مسرحياته الشعرية.
٤. الكشف عن العلاقة بين الشعر والبناء الدرامي في نصوصه.

منهج البحث

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف الظواهر الفنية في المسرحيات الشعرية لدى رضا الخفاجي وتحليلها للكشف عن أبعادها الجمالية والفكرية.

المبحث الأول مفهوم المسرحية الشعرية ونشأتها

تُعدّ المسرحية الشعرية أحد الأجناس الأدبية التي تجمع بين الشعر والمسرح في إطار فني واحد، إذ تتخذ من الشعر وسيلة للتعبير عن الأحداث والشخصيات والصراعات الدرامية، مع المحافظة على العناصر الأساسية للفن المسرحي من حبكة وصراع وحوار وشخصيات. ويمنح هذا التداخل بين الشعر والدراما النص المسرحي طاقة تعبيرية كبيرة، لأن اللغة الشعرية تمتلك قدرة خاصة على الإيحاء والتأثير الوجداني والتعبير عن المشاعر والأفكار بصورة أكثر عمقاً من اللغة العادية، فضلاً عن إضفاء أبعاد جمالية وفنية على العمل المسرحي (عبد الحميد، ٢٠٠١، ص٧٢). وتُعرف المسرحية الشعرية بأنها نص درامي يُكتب بلغة شعرية موزونة أو حرة ويهدف إلى تقديم حدث مسرحي متكامل يعتمد الحركة والصراع والتفاعل بين الشخصيات، مع الإفادة من الخصائص الإيقاعية والتصويرية للشعر في بناء المواقف الدرامية (عصفور، ١٩٩٨، ص٤٥)وتتبع أهمية المسرحية

الشعرية من قدرتها على الجمع بين متعة التلقي الجمالي والرسالة الفكرية، إذ لا تقتصر وظيفتها على تقديم حدث أو حكاية، وإنما تسعى إلى إثارة التأمل في القضايا الإنسانية والفلسفية والاجتماعية من خلال لغة فنية راقية وصور شعرية مؤثرة. ولذلك فقد حظيت بمكانة متميزة في الآداب العالمية والعربية، وأسهمت في إثراء التجربة المسرحية من خلال توظيف الإمكانات التعبيرية للشعر داخل البناء الدرامي (إسماعيل، ٢٠١٥، ص١٣٨)أما من حيث النشأة، فإن جذور المسرحية الشعرية تعود إلى المسرح الإغريقي القديم، حيث كانت النصوص المسرحية تُكتب شعراً وتُقدَّم في الاحتفالات الدينية والمناسبات العامة. وقد اعتمد كتّاب المآسي الإغريق على الشعر في صياغة الحوارات والأناشيد الجماعية، مما جعل الشعر جزءاً أساسياً من البناء المسرحي آنذاك (بدوي، ١٩٧٢، ص٢١). واستمر هذا التقليد في المسرح الأوروبي خلال عصور متعددة، ولا سيما في عصر النهضة، حيث شهد المسرح الشعري ازدهاراً كبيراً في أعمال شكسبير وغيره من الأدباء الذين وجدوا في الشعر وسيلة ملائمة للتعبير عن المشاعر الإنسانية والصراعات النفسية العميقة (عبد الرحمن، ٢٠١٠، ص٩٤)وفي الأدب العربي الحديث ارتبط ظهور المسرحية الشعرية بحركة النهضة الثقافية التي شهدها العالم العربي في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، إذ أدى الاحتكاك بالثقافة الغربية إلى انتقال الفن المسرحي إلى البيئة العربية. وقد حاول الأدباء العرب في البداية محاكاة النماذج الغربية، ثم اتجهوا إلى تطويرها بما يتلاءم مع طبيعة الثقافة العربية وخصائص اللغة العربية الشعرية (ضيف، ٢٠٠٤، ص٣٢٠). ويُعد أحمد شوقي الرائد الحقيقي للمسرحية الشعرية العربية، إذ استطاع أن ينقل الشعر من فضائه الغنائي التقليدي إلى فضاء الدراما المسرحية، مقدماً أعمالاً مسرحية تناولت موضوعات تاريخية واجتماعية ووطنية، الأمر الذي أسهم في ترسيخ هذا الفن في الأدب العربي الحديث (ضيف، ٢٠٠٤، ص٣٢٢)وقد تطورت المسرحية الشعرية العربية بعد شوقي تطوراً ملحوظاً، فظهرت اتجاهات جديدة سعت إلى التحرر من القيود التقليدية والبحث عن أساليب أكثر قدرة على التعبير عن قضايا الإنسان المعاصر. واتجه بعض الكتّاب إلى استخدام الشعر الحر بدلاً من الأوزان التقليدية، كما اهتموا بتعميق البعد النفسي والفكري للشخصيات المسرحية، مما أسهم في تجديد بنية المسرحية الشعرية وإغنائها برؤى فنية حديثة (إسماعيل، ٢٠١٥، ص١٤٢). وفي العراق برز عدد من الأدباء الذين أسهموا في تطوير المسرح الشعري، ومن بينهم رضا الخفاجي الذي وظّف الشعر في خدمة المسرح الحسيني والتاريخي، مقدماً نصوصاً تجمع بين الجمال الفني والرسالة الفكرية والإنسانية.ومن خلال هذا العرض يتضح أن المسرحية الشعرية لم تكن مجرد شكل أدبي يجمع بين الشعر والمسرح، بل أصبحت وسيلة فنية للتعبير عن قضايا الإنسان والمجتمع والتاريخ، مستفيدة من الإمكانات الجمالية للشعر والقدرات التعبيرية للفن المسرحي، الأمر الذي جعلها فناً أدبياً متميزاً حافظ على حضوره في الأدب العالمي والعربي عبر مختلف المراحل التاريخية.

المبحث الثاني رضا الخفاجي وتجربته في المسرحية الشعرية

يُعدّ رضا الخفاجي من الأسماء البارزة في الأدب والمسرح العراقي المعاصر، إذ استطاع أن يرسخ حضوره من خلال نتاجه الشعري والمسرحي الذي اتخذ من التاريخ الإسلامي، ولا سيما النهضة الحسينية، منطلقاً لبناء رؤيته الفنية والفكرية. وقد ارتبط اسمه بالمسرح الحسيني ارتباطاً وثيقاً، حيث أسهم في تطوير هذا اللون المسرحي عبر مجموعة كبيرة من النصوص الشعرية التي جمعت بين الخصائص الجمالية للشعر ومتطلبات البناء الدرامي، مما جعله من أبرز كتّاب المسرحية الشعرية في العراق خلال العقود الأخيرة (الخفاجي، ٢٠١٨، ص١٥)انطلقت تجربة الخفاجي المسرحية من إيمانه بأهمية المسرح بوصفه وسيلة للتثقيف والتوعية وبناء الوعي الاجتماعي، لذلك لم يكن هدفه تقديم أحداث تاريخية مجردة، بل السعي إلى استثمار تلك الأحداث في معالجة قضايا فكرية وإنسانية معاصرة. وقد وجد في الشعر أداة فنية قادرة على التعبير عن القيم والمشاعر والأفكار بصورة أكثر تأثيراً وعمقاً، الأمر الذي دفعه إلى اعتماد المسرحية الشعرية إطاراً فنياً لأغلب أعماله المسرحية (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٢٤)وقد تنوعت الموضوعات التي تناولها الخفاجي في مسرحياته الشعرية، إلا أن الجانب الأكبر منها ارتبط بالشخصيات والأحداث المرتبطة بواقعة الطف، حيث قدّم نصوصاً تناولت سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته، فضلاً عن شخصيات أخرى جسدت قيم التضحية والوفاء والإصلاح. ومن أبرز أعماله المسرحية الشعرية :صوت الحسين، وصوت الحر الرياحي، وقمر بني هاشم، وسفير النور (مسلم بن عقيل(، وسفر الحوراء زينب، وسفر التوبة، وغيرها من الأعمال التي حظيت باهتمام الوسط الثقافي والمسرحي (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٢٨)وتتميز تجربة الخفاجي المسرحية بقدرتها على الجمع بين الأمانة التاريخية والخيال الفني، إذ لم يقتصر على إعادة سرد الوقائع التاريخية، وإنما عمد إلى إعادة تشكيلها دراماياً بما يخدم أهداف النص الفكرية والجمالية. وقد مكّنه هذا الأسلوب من تحويل الشخصيات التاريخية إلى نماذج إنسانية حية تحمل دلالات رمزية تتجاوز حدود الزمان والمكان، لتصبح معبرة عن قضايا الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية (عبد الأمير، ٢٠٢٣، ص١١٧)ومن أبرز سمات تجربته المسرحية اعتماده اللغة الشعرية بوصفها عنصراً أساسياً في بناء النص الدرامي، حيث جاءت الحوارات مشحونة بالإيقاع والصور الشعرية والدلالات الرمزية، مما منح النصوص بعداً جمالياً واضحاً. كما حرص على توظيف الشعر بطريقة تخدم تطور الحدث الدرامي وتكشف عن أبعاد الشخصيات النفسية

والفكرية، الأمر الذي أسهم في تحقيق التوازن بين الشعر والدراما داخل النص المسرحي (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣١)كذلك اهتم الخفاجي ببناء الصراع الدرامي القائم على المواجهة بين قيم الخير والشر والحق والباطل، وهي ثنائية تتكرر في معظم أعماله المسرحية. وقد انعكس هذا الصراع في تطور الأحداث ونمو الشخصيات، مما أضفى على نصوصه حيوية فنية وقدرة على التأثير في المتلقي وإثارة تفاعله الوجداني والفكري (حمادي، ٢٠٢٤، ص٩٢) ولم تقتصر أهمية تجربة الخفاجي على الجانب الفني فحسب، بل امتدت إلى الجانب الفكري والثقافي، إذ سعت أعماله إلى ترسيخ القيم الأخلاقية والإنسانية المستمدة من التراث الإسلامي، مع ربطها بواقع الإنسان المعاصر وتحدياته المختلفة. ومن خلال هذا التوجه استطاع أن يجعل المسرح الشعري وسيلة للتعبير عن قضايا المجتمع ونشر ثقافة الإصلاح والوعي والالتزام بالقيم الإنسانية النبيلة (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٦١) وعلى الرغم من ارتباط معظم أعماله بالمسرح الحسيني، فإن تجربته تجاوزت الإطار الديني الضيق إلى فضاء إنساني أوسع، حيث قدم رؤى فكرية وجمالية تستند إلى قيم عالمية مشتركة، وهو ما منح نصوصه قدرة على التواصل مع شرائح مختلفة من المتلقين. كما أسهمت غزارة إنتاجه وتنوع موضوعاته في إثراء المكتبة المسرحية العراقية والعربية وإبراز إمكانات المسرحية الشعرية بوصفها جنساً أدبياً قادراً على مواكبة التحولات الفكرية والثقافية المعاصرة (عبد الأمير، ٢٠٢٣، ص١٢١)ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن رضا الخفاجي قد أسس تجربة متميزة في مجال المسرحية الشعرية، استطاع من خلالها أن يوظف الشعر والتاريخ والتراث الديني في بناء نصوص درامية تجمع بين المتعة الجمالية والرسالة الفكرية، مما جعله واحداً من أبرز كتّاب المسرح الشعري في العراق المعاصر وأكثرهم إسهاماً في تطوير المسرح الحسيني وإغنائه فنياً وفكرياً.

المبحث الثالث المميزات الفنية للمسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي

أولاً: اللغة الشعرية المكثفة

تُعدّ اللغة الشعرية المكثفة من أبرز السمات الفنية التي تميز المسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي، إذ اعتمد في بناء نصوصه المسرحية على لغة تمتاز بالتركيز والاختزال والإيحاء، بعيداً عن السرد المباشر أو الإسهاب الوصفي الذي قد يؤدي إلى إضعاف الحركة الدرامية. وقد أسهم هذا التوجه في منح النص المسرحي قدرة أكبر على التعبير عن المعاني والأفكار من خلال عدد محدود من الألفاظ والعبارات التي تحمل دلالات متعددة، الأمر الذي يجعل المتلقي مشاركاً في إنتاج المعنى واستكشاف أبعاده الفكرية والجمالية (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٢٤). وتقوم هذه اللغة على استثمار الإمكانات التعبيرية للكلمة الشعرية بما تمتلكه من طاقة رمزية وإيحائية، حيث تتحول المفردة إلى أداة فنية قادرة على نقل المشاعر والأحاسيس والأفكار بصورة مكثفة وعميقة (عصفور، ١٩٩٨، ص٦٣). كما تتجلى الكثافة اللغوية في حرص الخفاجي على اختيار الألفاظ ذات الحمولة الدلالية العالية، مما يجعل النص غنياً بالإشارات والمعاني التي تتجاوز المعنى المباشر إلى مستويات أعمق من التأويل (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٤١). وتظهر هذه السمة بوضوح في الحوارات المسرحية التي تتسم بالتركيز والاقتصاد اللغوي، إذ يتجنب الكاتب الإطالة غير الضرورية ويستعيض عنها بعبارات قصيرة ذات أثر دلالي واسع، الأمر الذي يسهم في الحفاظ على إيقاع النص وحيويته الدرامية (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٢٧). كما أن اعتماد التكثيف اللغوي أسهم في تعزيز البعد الشعري للمسرحية، إذ أصبحت اللغة نفسها مصدراً للجمال الفني ومكوناً أساسياً في بناء التجربة الدرامية (إسماعيل، ٢٠١٥، ص١٤٧). ولا يقتصر التكثيف على الجانب اللغوي فحسب، بل يمتد إلى تكثيف المواقف والأحداث والانفعالات النفسية، حيث يستطيع الكاتب أن يختزل مشهداً كاملاً أو موقفاً إنسانياً معقداً في صورة شعرية أو عبارة موجزة تحمل دلالات واسعة (حمادي، ٢٠٢٤، ص٩٥). ويؤدي هذا الأسلوب إلى زيادة فاعلية النص المسرحي من خلال تحفيز خيال المتلقي وإشراكه في استكمال المعاني التي تتركها اللغة مفتوحة على احتمالات متعددة (عبد الأمير، ٢٠٢٣، ص١٢٣). ومن ثم فإن اللغة الشعرية المكثفة في مسرحيات رضا الخفاجي لا تمثل مجرد سمة أسلوبية، وإنما تعد ركناً أساسياً في تشكيل رؤيته الفنية والجمالية، إذ تسهم في بناء النص الدرامي وتعميق أبعاده الفكرية والوجدانية وتحقيق التوازن بين الوظيفة الشعرية والوظيفة المسرحية في آن واحد (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣٠)

ثانياً: الإيقاع الموسيقي

يمثل الإيقاع الموسيقي عنصراً جوهرياً في بناء المسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي، إذ لا يقتصر دوره على الجانب الشكلي، بل يتعداه ليصبح أداة فنية تسهم في تشكيل المعنى وتعزيز التأثير الوجداني للنص. ويعتمد الخفاجي في بناء إيقاعه على التنوع في الجمل الشعرية وتوزيع التراكيب اللغوية بصورة تحقق انسجاماً صوتياً وحركياً داخل المشهد المسرحي، مما يجعل النص أقرب إلى الأداء الإنشادي المتحرك (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٢٧). ويتجلى الإيقاع في توظيف التكرار اللفظي والدلالي الذي يؤدي وظيفة فنية تتمثل في تأكيد المعنى وتعميق أثره في المتلقي، فضلاً عن خلق نغمة داخلية تتناسب مع الحالة الانفعالية للشخصيات (حمادي، ٢٠٢٤، ص٩٧). كما يعتمد الخفاجي على تنويع التراكيب بين الجمل القصيرة والطويلة، الأمر الذي يسهم في خلق حركة إيقاعية متوازنة تمنع الرتابة وتزيد من حيوية النص المسرحي (إسماعيل، ٢٠١٥، ص١٥٠). ويظهر

الإيقاع أيضاً في اختيار الألفاظ ذات الجرس الموسيقي المتناغم، حيث تُسهم الأصوات المتقاربة في تشكيل نسيج صوتي يعزز الجانب الجمالي للنص ويقربه من روح الشعر الغنائي (عصفور، ١٩٩٨، ص٦٨). ومن جهة أخرى، فإن الإيقاع في مسرحيات الخفاجي لا ينفصل عن البناء الدرامي، بل يتكامل معه، إذ يتصاعد الإيقاع أو يهدأ تبعاً لتطور الحدث الدرامي وتوتر الصراع أو انفراجه (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٥٢). كما يسهم هذا الإيقاع في خلق حالة من التفاعل النفسي بين النص والمتلقي، حيث تتحول اللغة إلى موسيقى داخلية تؤثر في الإحساس العام للمشاهد وتعمق استجابته العاطفية (عبد الأمير، ٢٠٢٣، ص١٢٦). ومن ثم فإن الإيقاع في المسرحية الشعرية لدى الخفاجي يعد عنصراً بنائياً أساسياً، يربط بين الشكل والمضمون ويمنح النص طاقة تعبيرية عالية تتجاوز حدود اللغة العادية إلى فضاء جمالي أكثر تأثيراً وعمقاً (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٢٩)

ثالثاً: قوة البناء الدرامي

تقوم قوة البناء الدرامي في مسرحيات رضا الخفاجي على مبدأ الصراع المتصاعد الذي يشكل محور الحركة المسرحية، إذ يعتمد الكاتب على بناء درامي يقوم على المواجهة بين قوى متقابلة، غالباً ما تتمثل في ثنائية الحق والباطل أو الخير والشر، وهي ثنائية مستمدة من السياق التاريخي والديني الذي تستند إليه نصوصه، ولا سيما واقعة الطف (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٤٤). ويتميز هذا البناء بقدرته على تصعيد الأحداث بشكل تدريجي، حيث تتطور المواقف الدرامية من الهدوء إلى التوتر ثم إلى الذروة، مما يخلق حالة من التشويق المستمر لدى المتلقي (حمادي، ٢٠٢٤، ص١٠١). كما يعتمد الخفاجي على رسم شخصيات ذات أبعاد فكرية وإنسانية واضحة، تسهم في دفع الحدث الدرامي إلى الأمام من خلال مواقفها وصراعاتها الداخلية والخارجية (عبد الأمير، ٢٠٢٣، ص١٢٩). ويبرز في هذا السياق اهتمامه ببناء مشاهد درامية محكمة ترتبط فيما بينها بعلاقات سببية ومنطقية، مما يمنح النص تماسكاً فنياً ويحول دون التفكك أو التشتت في الأحداث (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣٢). ويُلاحظ أن الصراع الدرامي في مسرحياته لا يقتصر على المستوى الخارجي بين الشخصيات، بل يمتد إلى المستوى الداخلي النفسي، حيث تعيش بعض الشخصيات حالة من التردد أو الصراع القيمي الذي يعكس عمق التجربة الإنسانية (إسماعيل، ٢٠١٥، ص١٥٤). ومن خلال هذا البناء المتماسك، يتمكن الخفاجي من تحقيق توازن بين الحدث الدرامي واللغة الشعرية، بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى، بل تتكاملان في إنتاج نص مسرحي غني فكرياً وجمالياً (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣٣.)

رابعاً: الرمزية والدلالة الفكرية

تُعدّ الرمزية من السمات البارزة في المسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي، إذ يتجاوز النص عنده مستوى الحكاية التاريخية المباشرة إلى فضاء دلالي أوسع يقوم على الإيحاء والتأويل. فالشخصيات التاريخية في مسرحياته لا تبقى محصورة في بعدها الواقعي، بل تتحول إلى رموز فكرية وإنسانية تعكس قيم الحرية والعدل والتضحية والإصلاح، مما يمنح النص بعداً فلسفياً يتجاوز حدود الزمن والمكان (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٥٥). ويعتمد الخفاجي على الرمز بوصفه وسيلة لتكثيف المعنى وتوسيع دائرة الدلالة، حيث تصبح الواقعة التاريخية إطاراً فنياً للتعبير عن قضايا الإنسان المعاصر (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣٤). كما تسهم الرمزية في إضفاء عمق فكري على النص المسرحي، إذ تُحيل الأحداث إلى معانٍ متعددة يمكن قراءتها على أكثر من مستوى، سواء تاريخياً أو إنسانياً أو أخلاقياً (حمادي، ٢٠٢٤، ص١٠٤). ومن خلال هذا التوظيف الرمزي، يحقق الخفاجي توازناً بين الالتزام بالمرجع التاريخي والانفتاح على الرؤية الفنية الحديثة التي تسمح بإعادة قراءة الحدث وتأويله (عبد الأمير، ٢٠٢٣، ص١٣٢). وبذلك تصبح الرمزية أداة فاعلة في بناء النص المسرحي وإغنائه بالدلالات الفكرية والجمالية.

خامساً: التصوير الشعري

يشكل التصوير الشعري عنصراً محورياً في بناء المسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي، إذ يعتمد على تشكيل الصور الفنية عبر الاستعارة والتشبيه والكناية والرمز، مما يمنح النص قدرة عالية على الإيحاء والتجسيد البصري للمشهد المسرحي. وتُسهم هذه الصور في تحويل اللغة إلى مشاهد حية نابضة بالحركة والانفعال، بحيث يتفاعل المتلقي مع النص بوصفه تجربة حسية وجمالية متكاملة (عصفور، ١٩٩٨، ص٧٢). ويظهر التصوير الشعري في مسرحياته من خلال رسم المشاهد التاريخية والإنسانية بصورة درامية مؤثرة تعكس الحالة النفسية للشخصيات وتوترها الداخلي (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٦٠). كما يسهم هذا التصوير في تعميق البعد الجمالي للنص، إذ يجعل اللغة أداة تشكيل بصري ووجداني في آن واحد (إسماعيل، ٢٠١٥، ص١٥٨). ويعتمد الخفاجي على تكثيف الصورة الشعرية بحيث تحمل أكثر من دلالة في إطار لغوي موجز، مما يعزز من طاقة النص التعبيرية (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣٦). ومن ثم فإن التصوير الشعري لا يؤدي وظيفة زخرفية، بل يشكل جزءاً بنيوياً في بناء المعنى وتطوير الحدث الدرامي.

سادساً: البعد التاريخي والديني

يستند المسرح الشعري لدى رضا الخفاجي إلى مرجعية تاريخية ودينية واضحة، إذ يستلهم معظم نصوصه من أحداث التاريخ الإسلامي، ولا سيما واقعة الطف وما ارتبط بها من شخصيات مركزية في الذاكرة الدينية. غير أن هذا الاستلهام لا يأتي على شكل سرد تاريخي مباشر، بل يُعاد تشكيله فنياً ضمن رؤية درامية حديثة تمنح الحدث أبعاداً فكرية وإنسانية جديدة (الخفاجي، ٢٠١٨، ص٦٣). ويعتمد الخفاجي على التاريخ بوصفه مادة خاماً قابلة للتوظيف الفني، حيث يعيد صياغته بما يخدم البنية الدرامية للنص ويعزز من دلالاته الرمزية (حمادي، ٢٠٢٤، ص١٠٨). كما يتيح هذا البعد التاريخي للنص المسرحي إمكانية الربط بين الماضي والحاضر، من خلال إسقاط القيم التاريخية على الواقع المعاصر، مما يمنح النص بعداً استمراريًا في الوعي الإنساني (عبد الأمير، ٢٠٢٣، ص١٣٥). ويؤدي هذا التداخل بين التاريخ والدين إلى تعميق الرسالة الفكرية للمسرحية، وجعلها أداة للتأمل في القيم الأخلاقية والإنسانية.

سابعاً: التوازن بين الشعر والدراما

يمثل التوازن بين الشعر والدراما أحد أهم مميزات تجربة رضا الخفاجي المسرحية، إذ استطاع أن يحقق انسجاماً فنياً بين اللغة الشعرية ومتطلبات البناء المسرحي. فلم يتحول النص إلى قصيدة مطولة تفقد بعدها الدرامي، كما لم تتحول الدراما إلى سرد نثري يفقد قيمته الجمالية، بل جاء النص في حالة تفاعل وتكامل بين العنصرين (الجنابي، ٢٠٢٦، ص٣٩). ويعتمد هذا التوازن على توزيع الوظائف الفنية داخل النص، بحيث يؤدي الشعر دوره في التعبير عن الانفعالات والأفكار، بينما يؤدي البناء الدرامي دوره في تطوير الحدث والصراع (إسماعيل، ٢٠١٥، ص١٦٢). كما يسهم هذا التوازن في الحفاظ على إيقاع النص المسرحي وحيويته، ويمنحه قدرة على التأثير في المتلقي على المستويين الجمالي والفكري (حمادي، ٢٠٢٤، ص١١٢). ومن خلال هذا التكامل، ينجح الخفاجي في تقديم نموذج للمسرحية الشعرية التي تجمع بين عمق الشعر وفاعلية المسرح في آن واحد.

الخاتمة

في ضوء ما تم عرضه في هذا البحث الذي تناول المسرحية الشعرية لدى رضا الخفاجي ومميزاتها الفنية، يتبين أن هذا اللون الأدبي يمثل تجربة فنية متميزة في المسرح العراقي المعاصر، إذ استطاع الخفاجي أن يحقق حضوراً واضحاً في مجال المسرح الشعري من خلال توظيفه للغة الشعر في بناء نص درامي متكامل يجمع بين الجمال الفني والرسالة الفكرية. وقد اعتمد في نصوصه على مرجعيات تاريخية ودينية، ولا سيما واقعة الطف، لكنه لم يكتفِ بالسرد التاريخي، بل أعاد صياغته ضمن رؤية فنية حديثة تمنح الحدث أبعاداً رمزية وإنسانية معاصرة. كما أظهرت الدراسة أن المسرحية الشعرية لديه تقوم على أسس فنية متعددة، أبرزها اللغة الشعرية المكثفة، والإيقاع الموسيقي، والبناء الدرامي المتماسك، والرمزية الفكرية، والتصوير الشعري، إضافة إلى تحقيق التوازن بين الشعر والدراما، وهو ما منح نصوصه خصوصية فنية مميزة في المشهد المسرحي العراقي.

اولا: النتائج

١. يمثل رضا الخفاجي أحد أبرز كتاب المسرحية الشعرية في العراق المعاصر، ولا سيما في المسرح الحسيني.
٢. تعتمد مسرحياته على لغة شعرية مكثفة تقوم على الإيحاء والتكثيف والدلالة العميقة.
٣. يشكل الإيقاع الموسيقي عنصراً بنائياً مهماً يسهم في تعزيز التأثير الوجداني للنص المسرحي.
٤. يقوم البناء الدرامي في مسرحياته على الصراع بين القيم المتضادة، مما يمنح النص حيوية فكرية وانفعالية.
٥. تعتمد نصوصه على الرمزية بوصفها أداة فنية لتوسيع الدلالة وتحويل الشخصيات إلى رموز إنسانية.
٦. يسهم التصوير الشعري في تشكيل المشاهد الدرامية وإبراز الأبعاد النفسية للشخصيات.
٧. يستلهم الخفاجي مادته المسرحية من التاريخ الإسلامي مع إعادة صياغته فنياً بشكل معاصر.
٨. يحقق الخفاجي توازناً واضحاً بين الشعر والدراما، مما يحافظ على وحدة النص المسرحي.
٩. تجمع مسرحياته بين البعد الجمالي والبعد الفكري، مما يجعلها ذات أثر ثقافي وإنساني واضح.

ثانياً: التوصيات

١. ضرورة الاهتمام بدراسة المسرحية الشعرية العراقية بوصفها جنساً أدبياً مهماً في الأدب الحديث.
٢. تشجيع الدراسات النقدية التي تتناول تجربة رضا الخفاجي بشكل أعمق وأكثر تخصصاً.
٣. إجراء دراسات مقارنة بين المسرحية الشعرية عند الخفاجي ومسرحيين عرب آخرين مثل أحمد شوقي وصلاح عبد الصبور.
٤. الاهتمام بتحليل الجانب الإخراجي لمسرحياته الشعرية وليس النص فقط، للكشف عن تكامل العناصر الفنية.
٥. إدراج نصوص المسرحية الشعرية الحسينية ضمن المناهج الأكاديمية لما تحمله من قيم فكرية وإنسانية.

٦. دعم البحث في العلاقة بين الشعر والمسرح في الأدب العراقي الحديث لتعزيز الفهم النقدي لهذا الفن.

المصادر والمراجع

١. إسماعيل، عز الدين .الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية .القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٥ .

٢. عصفور، جابر .زمن الرواية ودراسات أدبية أخرى .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ .

٣. بدوي، أحمد أحمد .تاريخ المسرح الإغريقي .القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢ .

٤. عبد الحميد، محمد محيي الدين .الأدب المسرحي: أصوله واتجاهاته .القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠١ .

٥. عبد الرحمن، أنور .المسرح العالمي وتطوره التاريخي .بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠١٠ .

٦. ضيف، شوقي .الأدب العربي المعاصر في مصر .القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤ .

٧. الخفاجي، رضا .نظرية المسرح الحسيني .بغداد: دار الكفيل، ٢٠١٨ .

٨. الجنابي، هاجر رحيم هادي. "الإيقاع واللغة الشعرية في المسرح العربي الحديث: دراسة تحليلية لمسرحيات رضا الخفاجي ."مجلة الجامعة العراقية، العدد ٧٤، ٢٠٢٦، ص ٢١–٤٥ .

٩. حمادي، محمد جاسم .جماليات الخطاب المسرحي المعاصر .بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠٢٤ .

١٠. عبد الأمير، علي كاظم .المسرح الحسيني وتحولات الخطاب الدرامي .بغداد: دار تموز، ٢٠٢٣ .

١١. شوقي، أحمد .المسرحيات الشعرية الكاملة .القاهرة: دار المعارف، ٢٠٢٢